مجلة
مركز الوثائق والدراسات الإنسانية
جامعة قطر

داخل العدد

* العطاء الجغرافي في مقدمة ابن خلدون .
* الحياة الاقتصادية في قطر من ظهور الإسلام حتي نهاية القرن الرابع الهجري.
* من السمات العامة للخلافة العباسية في العصر العباسي الأول.
* مليح بن الحكم : شاعر من هذيل .
* التحليل الاجتماعي للابداع ـ توجهات نظرية وخبرات بحثية في المجتمع العربي .
* النظام الدولي الجديد وموقع العرب منه .

العدد الثامن السنة الثامنة ١٩٩٦ م

الدوحة - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م

مليح بن حكم شاعر من هذيل

د٠ سلامة عبد الله السويدي
قسم اللغة العربية - جامعة قطر

(١)

مليح بن حكم شاعر من هذيل أهملته - على علو كعبه في فن الشعر - كتب الأنساب والتراجم كما أهملت عديداً غيره من شعراء هذيل ، وعبثاً نقبنا عنه في كل المصادر التي تتعرض لتراجم الرجال أو أنسابهم ، فلم نجد له ذكراً .

وربما كان إهمال كتب التراجم والأنساب لأعلام هذيل راجعاً لعنادهم ، وتأبيهم مدة على الدخول في الإسلام ، ولموقفهم المعادي له ، فقد استدرج وفد من هذيل فريقاً من صحابة رسول الله ﷺ وقتلوهم في الرجيع كما هو معروف في التاريخ الإسلامي [١] ، كذلك فقد دلنا شعر أبي خراش الهذلي ، وهو من قوم مليح ، ومن البطن ذاتها في هذيل، أن هذيلا كانت متعاطفة مع المشركين في غزوة حنين ، وفي شعر أبي خراش بكاء على صاحب له أسر في هذه الغزوة ، وقتله واحد من المسلمين يدعى « جميل » وفي بكاء أبي خراش لصاحبه تحسر واضح على انطواء عهد الجاهلية وذهاب إخوان الصفاء ، يقول :

فوَاللهِ لَوْ لاقيته غَيْرَ مُوثَقٍ ... لآبَكَ بالجزْعِ الضَّبَاعُ النواهِلُ
وإنَّكَ لَوْ واجَهْتَهُ إذْ لقيتَهُ ... فَنَازَلتَهُ ، أو كُنْتَ ممنْ يُنَازِلُ
لظلَّ جَميلٌ أسوأَ القَوْمِ تلةً ... ولكنَّ قرْنَ الظَّهرِ للمرءِ شاغِلُ
ولم أنْسَ أياماً لنا ولَيَالياً ... بحليَةَ إذ نَلقَى بها مَحْنَ نُحاوِلُ
فليسَ كعَهدِ الدَّار يا أُمَّ مالكٍ ... ولكن أحَاطت بالرِّقابِ السَّلاسِلُ
وعادَ الفَتَى كالكَهلِ لَيْسَ بقائلٍ ... سوَى العَدلِ شَيْئاً فاسْتراحَ العَواذِلُ
فأصبَحَ إخوانُ الصَّفَاءِ كأنَّما ... أهَالَ عليهم جَانِبَ التُّرْبِ هَائِلُ[٢]

هذا موقف قوم مليح من الإسلام في بدايته ، وربما من أجل هذا أهمل ذكر مليح فيمن أُهمل من شعراء هذه القبيلة وأعلامها .

وربما يرجع هذا الإهمال لشعراء هذيل إلى سبب آخر هو ذوبان قبيلة هذيل بعد الإسلام، فقد تفرق أبناؤها ، وتوزعوا على الأمصار المفتوحة ، ففريق شرّق ، وفريق غرّب، ولم يبق في ديارهم من يلفت النظر ويستحق الذكر .

قد يرجع إهمال المصادر العديد من أعلام هذيل إلى هذا السبب أو ذاك أو إليهما جميعاً، ولكن هذه التفسيرات - في النهاية - دليل إخفاق في التعرف إلى شخصية «مليح» تلك الشخصية التي تختفي خلف ستار ضبابي كثيف ، وتنبهم أمامنا كل ملامحها وسماتها .

على أن شعر مليح ربما كان أفضل من صاحبه حظاً ، فقد تداوله ،على الأقل ، علماء اللغة يستشهدون به على معاني الغريب فنجد في اللسان[٣] - مثلاً - ذكراً له في غير موضع وكذلك في التاج[٤] والمخصص[٥] ، والمحكم[٦] ، والتكملة[٧] ، وأساس البلاغة[٨]، وجمهرة اللغة[٩] ، وورد ذكره أيضاً في كتب البلدان مثل معجم البلدان[١٠] ومعجم ما استعجم[١١] . والمشترك وضعاً[١٢] .

وفيما عدا ذلك فليس ثم إلا الصمت ، اللهم إلا ما ذكره المرزباني في معجمه من أن المليح بن حكم الهذلي أحد بني قرد بن معاوية شاعر إسلامي [١٣] ، وما ذكره السكري في شرحه لأشعار الهذليين حين ساق نسب مليح فقال : مليح بن الحكم بن صخر بن أقيصر بن عمير بن زيد بن إياس بن سهم القردي قرد بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد[١٤] .

وما نظن أن ما ذكره المرزباني ، والسكري يشفي غليلا أو يخرجنا من الدائرة المعتمة التي ندور فيها نتلمس شيئا عن مليح .

* * *

وإزاء هذا كله لم يكن أمام مؤرخي الأدب المحدثين إلا استنطاق شعر مليح لعله يشي بشيء من ملامحه ، وطبيعي - والشعر هو المصدر الوحيد للتعرف إلى الشخصية - أن تتفاوت النتائج حسب دقة الفهم ، ودقة الملاحظة ، ورهافة الحس .

فكل ما لاحظه بلاشير مثلا أن شعر مليح ذو طابع إسلامي ولكنه توقف فيما وراء ذلك فقال : إننا لا نعرف عنه شيئاً ، وإن كان قد رجح أنه اشترك في بعض غزوات الرسول[١٥] .

أما سزكين في كتابه تاريخ التراث العربي فقد ذكر نسبه ، ثم أردف بانه عاش في صدر الإسلام ، وأدرك العصر الأموي ، واشترك في الفتوح[١٦] .

وربما كان سزكين - في رأينا- أدق استنتاجاً من بلاشير وهو ما سنوضحه عما قليل.

هذا كل ما وصل إلينا عن مليح في المصادر القديمة والحديثة سوى إشارة وردت في تاريخ الأدب العربي لبروكلمان عن ديوان منشور لمليح مع ترجمة بقلم بروي[١٧] ، ولم يذكر أين نشر ، لذلك لم نتمكن من الاطلاع عليه وما نظنه إلا سابقاً لكتاب أشعار الهذليين للسكري .

* * *

أما أن « مليحاً » شاعر إسلامي فهذا ما لا مشاحة فيه ، ففي شعره ذكر النبي ﷺ ، في غير موضع نرى ذلك في قوله :

ونَحنُ ضرَبْنَا يَوْمَ يُلْتَمَسُ الهُدَى
بأسْيافنا عِندَ النَّبيِّ الموفَّقِ[١٨]

وفي قوله :

فَضَّلَنا اللّـهُ بأمر رائـــق
بالعَدلِ فينا والنَّبيِّ الصَّادِقِ[١٩]

لكن السؤال يبقى : هل أدرك مليح عصر الرسول ﷺ وحارب مع قومه ، أم أنه كان لما يزل صغيراً ؟ ونحن نرجح الأخير لسببين :

الأول : أن هذا الفخر بالنبي يأتي في ثنايا فخر عام بمآثر قومه في الجاهلية والإسلام، وفيه يتحدث بضمير الجمع ، ولو كان له دور لذكره .

الثاني : أن مليحاً لو كان اشترك في غزوات الرسول ﷺ لما أغفلته كتب الطبقات التي ما تركت أحداً ممّن كان لهم فضل المشاركة والجهاد .

وفي أرجوزة « مليح » التي انتزعنا منها الشطرين الآنفين واللذين يأتيان في معرض افتخاره بمضر وبخندف كلها يقول :

ونحنُ أهلُ الدارِ والسُّرادقِ
والبَابِ والمنبرِ والبَرازقِ
والمسجدِ الأوسَعِ والرُّسَاتقِ
والموجِ والملجإِ في الفَواهقِ
وخاتمِ المُلوكِ غيرِ العَالقِ
ونحن وُلِّينَا حُدُودَ الفاسقِ[٢٠]

ونقف عند قوله «أهل الدار» ونسأل أية دار تلك التي يتحدث عنها أهي دار عثمان؟! ويقصد بذلك دفاعهم عن عثمان - رضي الله عنه - في يوم الدار ؟! وعلى ذلك فهل يعني بخاتم الملوك « معاوية » ؟! هذا احتمال لا نستطيع الجزم به ، لأن الشعراء خاطبوا الخلفاء بلفظة « ملك » فهذا الحطيئة يقول لعمر :

يأيُّها الملكُ الذي أمْسَتْ لَهُ بُصْرَى وغَزَّةُ سَهْلُها والأجرَعُ
أو مُلكها وقَسيمُها عن أمْرِهِ يُعْطي بأمرِكَ ما تَشَاءُ ويَمْنَعُ[٢١]

وهكذا نرى أننا مانزال من أمر مليح نحرك أقدامنا في مكانها لا نتقدم خطوة .

على أن هناك شيئا نستطيع الجزم به في حياة مليح هو أنه زار « مصر » وعاش فيها، ربما في أثناء الفتح أو بعده بقليل ، ونستشف ذلك من قصيدته اللامية :

هَلَ أنْتَ عن الحيِّ اليَمَانينَ سَائلُ أمَ أنْتَ امرؤٌ قد أجْمَعَ الصُّرْمَ ذاهِلُ[٢٢]

وفيها يتشوق من مصر لصاحبته « أم عابد » ولولدها عابد ، فيقول :

ولم يَتَنوَّمنَا لها ليْلَةَ اللِّوَى خَيَالٌ يُوَافي الرَّكْبَ والرَّكْبُ نَازِلُ
ودُونيَ هيَّامُ المعاصِمِ فاللِّوَى ومن دُونِ بابِ اليُونِ بحرٌ وَسَاحِلُ
ودوني هيَّامُ المعاصِمِ فاللوى ومن دُونِ بابِ اليُونِ بحرٌ وساحِلُ
ودُوني منْ هَضْبِ المُقَطَّمِ مَنْكِبٌ ومِن عَابِدٍ جَلسُ القَرا مُتطاوِلُ

وذكر « باب اليون » في الأبيات يؤكد الزمن الذي حددناه لدخول مصر ، لأن « باب اليون » لم يعد لها ذكر بعد بناء « الفسطاط » إذ المعروف أن الفسطاط بنيت على موضعها [٢٣] .

فهل دخل « مليح » مصر مع الجيش الفاتح ؟ هذا ما نرجحه ، ونرجح أنه كان فردا لم يصحب معه زوجه وولده بدليل ما تشي به هذه القصيدة اللامية التي يتشوق فيها إلى «أم عابد» التي ربما كانت زوجا له أو كان يطمح إلى الزواج منها .

على أي حال فقد دخل « مليح » مصر في سنة ٢٠ للهجرة أو بعدها بقليل ، فالمعروف أن فتح مصر تم في هذه السنة [٢٤] .

ومعنى ذلك أن مليحاً كان في هذا التاريخ شاعراً مكتمل الفن ، وكان أيضاً قد بلغ السن التي تمكنه من المشاركة في الجهاد أو على الأقل من النزوح إلى مصر .

وإذا قدرنا أن سن مليح إذ ذاك كانت في حدود العشرين عاماً تزيد أو تنقص كان لنا أن نقدر أنه ولد مع بدايات الهجرة ، ويكون قد شهد طفلاً جهاد قومه مع الرسول ﷺ في بعض المواقع بعد أن حسن إسلامهم ، وما نظن ذلك إلا بعد فتح مكة ، وظلت مشاهد هذه المواقع عالقة بذهن « مليح » ، حتى إذا جرى الشعر على لسانه تغنى بها في معرض الفخر بقومه :

ونَحنُ ضَرَبْنَا يَوْمَ يُلتَمَسُ الهُدَى بأسْيافنا عندَ النَّبيِّ الموفَّق
ضَرَبْنَا بِهِنَّ الهَامَ عَنْ كُلّ جائرٍ عَنِ الدّينِ أو مِنْ تائهٍ مُتَبَطْرِقِ [٢٥]

وإذا كنا قد قدرنا مولد « مليح » فإننا لا نستطيع تقدير السنة التي توفي فيها ، ولا نعلم إلى أي مدى امتد به العمر ، كل ما نراه هو حديث عن الشيب في بعض شعره :

وأنتَ ذو شَيْبَةٍ ، هَيْهَاتَ مُطْلَبي عَهدَ الصَّبابَةِ ذاكَ الجهْلُ والفَنَدُ [٢٦]

غير أن مجرد الحديث عن الشيب لا يعطينا تحديدا للمدى الزمني الذي امتد فيه عمر «مليح» ، فقد يخط الشيب رأس الرجل وهو لم يتعد بعد حد الشباب ، وقد يكون الشيب إحساساً نفسياً قبل أن يكون مظهراً جسدياً ، وقد يكون الحديث عن الشيب مجرد تقليد فني آسر يجري فيه مليح على سنن الشعراء الذين سبقوه في مواقف محددة تستدعيه .

كذلك فنحن لا نعلم أيضاً كم لبث « مليح » في مصر ، وهل استقر فيها ، أو أنه عاد كرّة أخرى إلى ديار هذيل ؟ ، وإذا كان قد عاد فهل استقر في ديار قومه في الحجاز أو نزح مثل غيره من النازحين إلى مكان آخر ؟!

* * *

(٢)

وشعر مليح الذي وصل إلينا يتوزع على موضوعين أساسين ، هما : المرأة والفخر ، وبين الموضوعين وشائج وصلات فكثيراً ما يأتي الفخر في معرض الحديث عن المرأة مسوغاً أن «مليحاً» أحق بالحب وأجدر به .

وتعددت أسماء النساء في شعر مليح من « ليلى » إلى « شمّاء » إلى « نائلة » إلى «أم عابد» ، بل كثيراً ما كان يبدأ باسم واحدة ، ثم لا يلبث بعد بيت أو بيتين أن يأتي باسم أخرى ، وهذا شيء جرى عليه الشعراء القدماء ، وهو - في ظننا - محاولة للتعمية على الاسم الحقيقي للمحبوبة على أننا نرى أن معاناة « مليح » واحدة ، وهذه الأسماء المتعددة - في نظرنا - لا تدل على تعدد محبوبات الشاعر ، وإنما هي محبوبة واحدة يحلو للشاعر أن يدعوها بأسماء عدة حجباً لها ، وتعمية على حقيقتها .

والمحبوبة في شعر مليح مفارقة دائماً ، وتتعدد الفواصل والموانع التي تحول بينه وبينها ، فهناك الفاصل المكاني حيث تظعن المحبوبة إلى مكان تفصل الشاعر عنه ، فياف وجبال وأسفار، ولا يملك الشاعر إلا أن يتعزى بالطيف حينما تلم به غفوة من النوم :

ومَا ذِكرهُ لَيْلَى وليْسَتْ بخُلةٍ تُدَانـــي ولا إتْبَاعُهَا لَكَ يُعْرَفُ
ولَا أنتَ تلقاهَا ، ولا دارُ أهْلها بـدَارِكَ إلاَّ لَـمَّةَ النَّوْمِ تُسعِـفُ
بعيدَةُ أشْطَانِ النَّوى حينَ تنْبري بها لا معَاتُ الغَوْرِ أو حينَ تُخْرَفُ
لهَا بينَ أعْيَارٍ إلى البرك مَرْبَـعٌ ودارٌ ومنهـا بالقفَـا مُتَصَيَّفُ[٢٧]

وهناك فاصل آخر من العداوة فقوم « مليح » في حرب مع قومها :

فقُلتُ لها يَا ليْلَ كَيْفَ أزورُكُمْ وقد جَعَلَت في جَنْبِكِ الحربُ تَحْدَبُ[٢٨]

بل إن « مليحاً » يقص لنا قصة حربين كاد يهلك فيهما من أجل المحبوبة في يوم «فيض أراكة » وفي يوم « قرن » ولا نعرف شيئا من أمر هذين اليومين ، سوى ما ورد في شعر «مليح» من الإشارة لهما وذلك إذ يقول :

فَمِنْ حُبِّ لَيْلَى يومَ فيْضِ أراكةٍ وَيَوماً بقَرْنٍ كِدْتَ للموتِ تُشْرِفُ
غَداةَ طَلبنَا الظَّاعنينَ ودُونَهُم رجالُ العِدَى ما عَنْهُم لك مَصْرِفُ[٢٩]

ويحدثنا الشاعر في أبيات أخرى عن رجال من قوم المحبوبة ، تشتعل أنفسهم حقداً له وكراهية ، وإذا ذكر اسمه لهم ظل لأضلعهم زفير من شدة الحنق :

إذَا ما حَالَ دُونَ كَلامِ سُعدَى تَنَائي الدارِ والحَنَقُ الغَيُورُ
يَظَلُّ إذَا ذُكِرْتُ لَهُ بأرْضٍ بهَا سُعْدى لأضلُعِهِ زَفيرُ[٣٠]

ونرى الشاعر يحاول - ما استطاع - مداراة هؤلاء الأعداء رعاية لمحبوبته وإكراماً لنفسه، وهذا ما تشي به أبياته :

مِنْ دُونِ لَيْلَى رِجَالٌ مُبغضُونَ لنَا أرْعَيتُ فيهمْ وما أرعَوا ولا قَصَدُوا
وَمَا عَجِلْتُ وَمَارُدُّوا بحَاجتِهِمْ عِنْدِي ، ومَابَلَغُوا جَهْدِي وَقَد جَهَدُوا
يُكلِّمُونَكَ تخليفاً وأنفُسهمْ تُطوَى على حَنَقٍ مَوْتٍ وتنعَقِدُ
إني لأكْرِمُ نَفْسِي أنْ أواحِنَهُمْ في الأمْرِ حين بَدَا في تركِهِ رَشَدُ[٣١]

ويظل شعر « مليح » يفيض بالشكوى لصاحبته من هذه العداوة التي تمنع لقاءهما ، وهي أيضاً تشكو إليه الشكوى ذاتها ، يقول :

شَكوْتُ العِدَى مِنْ دُون ليلى وأنَّهُ يَزيدُ هَوَاهَا النَّأْيُ عندي فَيُضعفُ
وخبرتُها أشياءَ تعلمُ أنَّها كَذَاكِ ، فقالتْ : كُلُّ ما قال نَعْرِفُ
وألطَفْتُ من شَكوى المحبِّ مَقَالةً لليْلَى وما قالتْ لنا بَعْدُ ألْطَفُ
فَقَالَتْ لهُ : لو كانَ للحبِّ مُنْتهىً وللهَجْرِ أوْ لَوْ كَانَ ذُو الضَّغْنِ يُنْصِفُ
بَلَغْتُ عَلَى رَغْمِ الأُنُوفِ كَرامةً إليْكَ ، ولو مَاتَ الغَيُورُ المُكَلَّفُ
ولكن عَدَاني اللَّوْمُ من ذي قَرابَتي ولَغْبُ العِدى مِمَّنْ يَجُورُ وَيجنَفُ[٣٢]

و « مليح » في هذا الجانب من شعره يعيد علينا موقفا شبيها بموقف « عنترة » من محبوبته ، فهو أيضاً كانت تفصله عنها عداوات وإحن بين قوميهما :

شطت مزارَ العاشقينَ فأصبَحَت عَسراً عليَّ طلابُك ابنةَ مَخْرِمِ
عُلّقتها عَرَضاً وأقتُلُ قومَها زعماً وربِّ البيت ليس بمَزْعَمِ[٣٣]

على أننا لا ندري شيئاً عن هذه العداوة التي فصلت بين مليح وقوم محبوبته ، أكانت عداوة قبلية؟ أم كانت شيئاً مما تفرضه التقاليد العربية ، غيرة على الأعراض والحرم؟!

غير أن هناك خيطاً يمكن أن يوصلنا إلى تفسير لهذه العداوة ، يتمثل في أن المحبوبة كانت ذات ولد ، ومعنى ذلك أنها في عصمة رجل غيره ، وطبيعي - والأمر كذلك- أن تقوم من جراء هذا الحب عداوات ، بل ثارات ، وقد ذكر مليح في شعره أنه أحب محبوبته وولدها لما يزل يسعى في تمائمه :

بتلكَ عَلِقتُ الشَّوْقَ أيّامَ بِكرُهَا قَصيرُ الخُطَى في قِدْعَةٍ مُتَعَطِّفُ
عَلَيهِ مَعَ الحَلْيِ التَّميمُ مُظَاهَراً على النَّحْرِ منْهُ والسَّخَابُ المسَوَّفُ
شَبيهُ بأطلاءِ المهَا غَيْرَ أنَّهُ يَصِلُ بعطفَيهِ جُمَان ورَفرَفُ[٣٤]

وكلمة « بكر » توحي بأن المحبوبة كان لها أولاد أخر وإلا لما ذكر « مليح » هذه الكلمة تمييزاً لهذا الولد .

ومهما كان من أمر فاسم هذا الولد البكر كان « عابد » ، وقد كنى به المحبوبة في قصيدته اللامية التي نظمها متشوقاً إليها وهو بمصر :

كَأنَّكَ لم يَعْلَقْكَ منْ أمّ عَابدٍ ذمَامُ ، ولم تُضْرَبْ عَلَيْكَ الحَبَائِلُ
ولم يجْرِفي الأخبَارِ بَيْني وبَيْنَها أمينٌ لَنَا تُلقَى إليْه الرَّسَائِلُ
ولم نَرْجُ في الوُدِّ المكَتَّمِ بيْنَنا أأكْثَرَ فيه النَّاسُ أم قالَ قائِلُ[٣٥]

* * *

وثمة فاصل ثالث يحول بين « مليح » وبين محبوبته ذلك هو تمنعها وصدودها ، وهوفي شعره يشير دائما إلى تأبيها ، وخلا بها ، وخداعها :

تُخَالِفُنَا وتَلْبَسُ كُلَّ لَوْنٍ لَنَا شَكْلاءُ خَالِبَةٌ خَتُورُ
وتُدهِنُ للصَّرِيمَةِ وهيَ تُبْدي لَنَا وَصْلاً ، وتَعْلَمُ ما تُديرُ[٣٦]

ويعجب من نفسه في قصيدة أخرى ، لحبه لها رغم ما يعرف من باطل هذا الحب وغيه، وتغريره به ، ورجوعه منه بغير طائل :

ولَمْ أرَ مثْلي يُسْتَحنُّ صَبَابةً من البَيْنِ أو يبكي إلى غَيْرِ واصِلِ
ولا مثلَ مَا أَلْقَى بليلى وحُبِّها ألا حُبُّ لَيْلَى حُبُّ غَيٍّ وباطِلِ
ولا مِثْلَ ما أُعْطيت منّا وَمَا بَدَا لَنَا منك إعراضٌ وقِلَّةُ نائِلِ
فَمَهْما يَكُنْ من حُبِّ لَيلى فإنَّها عَلَى ذاكَ مُسْقَاةُ دمَاءَ المَقَاتِلِ
مُوكلَةٌ بالشَّكِّ قادِرَةٌ لنَا على القتْلِ أو طُولِ السَّقَامِ المماطِلِ
نَعيشُ بوَعْدٍ منك لا تُنجزينَهُ وَنأمُلُ ذاكَ الوَعْدَ من غَيْرِ بَاذِلِ
فَلَمْ تَنظُرِي دَيْناً ولَيتِ اقتضاءهُ ولَمْ ينقلِبْ منكمْ طَليبٌ بَطَائِلِ[٣٧]

ومرة ثالثة نراه يشير إلى مطلها الذي أهلكه :

ولو أنَّ لَيْلَى حينَ تَدْنُو بها النوى تُعدُّ لأخرى غَرْبَةٍ حينَ تجمحُ
ولكِنَّ ليلى أهْلكتْني بَقَوْلها نَعَمْ ثم لَيْلَى المَاطِلُ المتَبَلِّحُ[٣٨]

* * *

على أن هذه الفواصل والموانع ما كانت تزيد حب مليح إلا تأججا وتسعراً ، فنراه مشدوداً إلى صاحبته ، أسير ذكراها كثير الحنين إليها ، منهل الدمع ، وليس أدل على ذلك من قوله :

لَعَمري لئنْ أبْكتْك كُلُّ مَحَلَّةٍ لشَمَّاءَ ، أو طَيْفٌ متى تُمْسِ يَطْرُقِ
لَتَلتمسَنْ عَيْناً سوَى عَيْنك التي رَهَنْتَ بجاري دَمْعها المتَدَفِّقِ
تُراوحُهَا بَعْضَ البكَار وتُعينُهَا عَلى الغَيِّ مِنْ وجْدٍ بشمَّاءَ مُلحقِ
ومن يتعلَق حُبَّ شَمَّاء أو تكُنْ لهُ شَجَناً يُكْثِرْ حَنيناً ويَشْتَقِ
ويَهْتَجِ لذِكْرَاهَا إذا خَطَرت لَهُ وللبَيْنِ منها والخَيَالِ المؤرِّقِ
حَنينَ اليماني هاجَهُ بعد سَلوةٍ وميضُ رميٍّ آخرَ الليْلِ مُعْرِقِ
فَحَنَّ ولَمْ يملكْ حنيناً وهاجَهُ لأوطانِهِ صَوْبُ السَّنَا المتألِّقِ[٣٩]

وفي أبيات أخرى يصور وجده الذي كاد يذهب بنفسه ، وحسرته التي يجنيها من وقوفه على مكان كانت تحل به :

فَلَمْ أَنْصَرِفْ مِنْ دارِ سُعْدَى ولم أُفِقْ ... مِنَ الوَجْدِ حَتى كَادَت النَّفْسُ تَخْرُجُ
ففي كُلِّ دارٍ فيكِ للقَلْبِ حَسْرَةٌ ... يكُون لها نَوْءٌ من العَيْنِ مُرْهِجُ[٤٠]

وعلى أية حال فموقف مليح من صاحبته تغلب عليه روح الشعراء العذريين فيما نجده في شعره من إحساس بالحرمان ومن شكوى الهجر والفراق ومن حزن يطبعه بطابع مميز .

على أن ذلك لا يمنع أن نقع في شعر مليح على ما نعده - إن صح تقديرنا لمولده - إرهاصا ببعض سمات عمر بن أبي ربيعة من إنطاقه للمرأة ، ومن إفساح المجال لها لتعبر عن مواجدها ومشاعرها فنجد في قصيدته الفائية (تذكَّرتُ لَيْلى يومَ أصبحَتُ قافلاً)[٤١] يفسح المجال لصاحبته حين نراها تقول له :

فَقَالتْ لَهُ لَوْ كانَ للحُبِّ مُنْتهىً ... وللهَجْرِ أَوْ لَوْ كَانَ ذُو الضِّغْنِ يُنصفُ
بلغْتُ على رَغمِ الأنُوفِ كرامةً ... إليكَ ولو مَاتَ الغَيُورُ المكَلَّفُ
ولكن عَدَانِي اللَّوْمُ من ذي قرابتي ... ولَغبُ العِدَى مِمنْ يجُورُ ويَجْنَفُ

وفي قصيدة أخرى نراه يبرز صاحبته في صورة قريبة الشبه بما سنراه من صاحبات عمر ، وهن يتهمنه بالمخادعة والخلاب وذلك إذ يقول :

وقَالَتْ : ألا قَدْ طَالَ مَا قَد غَرَرْتَنا ... بِخَدْعٍ ، وهَذا مِنْكَ حُبٌّ مُزَلَّجُ
فجئنَا بقولٍ لَيْسَ فيه خِلابَةٌ ... وإلاَّ فتكليمي عَلَيْكَ مُحَرَّجُ
إذا شِئْتَ فَاصْدُقني الحديثَ فإنَّما ... صَفيي منَ النَّاسِ الذي لا يُمَزِّجُ
وأوثِقْ لَنَا عَهْداً نَدُمْ لكَ ما جَرَى ... على ثبج البَحْرِ السَّفينُ المُلَجَّجُ
وإلا فآذِنَّا بِصُرمٍ نُمِت بِهِ ... أقاويلَ تُقْرا كُلَّ يَوْمٍ وتُزْعَجُ[٤٢]

فهل نستطيع أن نقول : إن عمر قد أخذ ما وجده من هذه الخيوط في شعر مليح ونماها ؟! ربما .

(٣)

وربما يمت بسبب إلى المحبوبة ، وموقفها من مليح ، وموقف مليح منها ، وهذا الفراق الضارب بجرانه بينهما مانراه في شعر مليح من سمة مميزة تتمثل في وصف الظعائن .

وإذا قارنا شعر مليح بشعر السابقين عليه أو المعاصرين له في هذه الناحية ، وجدنا وصف الظعائن عند مليح يتميز بملامح فارقة ، فرحلة الظعائن عنده ليست كما هي عند غيره من الشعراء تقليداً نمطياً متبعاً يمهد لغيره من الموضوعات ، بل هي في عديد من القصائد تكاد تكون الموضوع الرئيسي ، وهذا ربما بدا عجيباً في شعر مليح ، الأمر الذي يجعلنا نزعم أن «مليحاً» يجسد لنا من خلال عنايته بوصف الظعائن كل إحساسه بالغربة والحرمان .

ولا ننكر أن « مليحاً » تأثر بسابقيه في عديد من خطوط هذا الجانب ، ولكن تبقى له خصوصيته المتفردة في كثير من الجزئيات ، وفي وصفه المتأني لحركة الظعائن ، وفي صوره المشحونة بالحركة والانفعال .

وقد ألفنا في وصف الشعراء لمشهد الظعائن أن يبدأوا الوصف من حيث بداية الرحلة في التحرك ، فيصفون الهوادج وما عليها من كساء ملون ، وربما وصفوا حزن المحبوبة للفراق ، ودموعها ، وإشارتها بالبنان ، ثم يتابعون الرحلة حتى تغيب عن الأعين ، وربما استمر بعضهم متخيلا الأماكن التي ستحل بها الظعائن إلى غير ذلك ، أما مليح فإنه يكاد ينفرد بخط فارق بين الشعراء يتمثل في وصف إعداد الرحلة ، بداية من زم الجمال ، ثم وضع الأحمال عليها ، ثم خروج صاحبته بين أترابها من الغيد ، ثم استوائها على الجمل المعد لها ، ثم تحرك الرحلة ، وهو في أثناء ذلك يتوقف وقفات فنية ليصف لنا إبل الرحلة، أو الغيد اللاتي يطفن بأحمال الجمال ، أو معاناة الجمل الذي استوت عليه المحبوبة في نهوضه إلى غير ذلك . ففي قصيدته القافية (تشوّقْتُ إثرَ الظاعنِ المتفرق)[٤٣] يصور لنا الإعداد للرحلة في هدأة من الليل ، ويصف ألوان الإبل المعدة ، وقوتها ونشاطها ، فأنيابها كشبا الحراب تصدع اللغام الخارج من أفواهها وتخرقه كل مخرق :

غدَوْا بَعْدَمَا هَمُّوا بأنْ يتهجّدوا ... بلَيلٍ وَزَمّوا كُلَّ أعيسَ مُحْنِقِ
سَديسٍ وعامي البُزول لنا بـه ... شَبَاةٌ كَزُجِّ الحربـة المُتذَلِّقِ
إذا هُنَّ ظاهرنَ اللّجينَ صَدَعنَهُ ... بِسُمْرِ الشّبَا يخرِقنهُ كُلَّ مَخْرَقِ

ويتابع مليح مشهد الإعداد للرحلة ، فمع رحيل الليل وبزوغ أول ضوء للصباح الذي يشبه نسج الحائك المتفتق تخرج الغيد يعالين الإبل بالميس ، ويضعن الطنافس والوسائد :

غَدَونَ وأعقابُ الظَّلامِ يَشُلُّـهُ صَبَاحٌ كَنَسجِ الحائكِ المتفَتِّقِ
فأصْبَحْنَ قد عَالَيْن بالميسِ فوقها وكِسْوَتُهُ مِنْ كُلِّ قِطعٍ ونُمْرُقِ[٤٤]

ويتـوقف « مليح » عند هؤلاء الغيـد فـيصف خطوهن الذي يشبـه دريج القطا ، وأقدامهن وهي تصانع الخطو في نعالها مصانعة الأطفال الذين لم يدربوا بعد على المشي ، ويصف كعوبهن اللطاف الدرم وسيقانهن الممتلئة :

يُطِفْن بأحمَالِ الجمَـالِ غُديَّةً دَرِيجَ القَطَا في القَزِّ غيرِ المشَقَّقِ
نعالاً لأقدامٍ يُصَانِعنَ خطوَهَا مُصَانَعـةَ الأطفَـالِ لمَّا يُطَلَّقِ
بكُلِّ حَطِيطِ الكَعْبِ دُرْمٍ حُجُومُهُ تَرَى الحجلَ فيه غامِضاً غَيْرَ مُقلقِ[٤٥]

وتركيز « مليح » على الأقدام وحركتها إنما هو محاولة منه لاعتصار الزمن ، فهو لايريد أن تفلت منه حركة من مشهد الرحيل حتى ولو كانت هذه الحركة حركة قدم تصانع خطوها ، أو حركة حجل غامض غير مقلق ، إنه مشهد يريد أن يستوعبه « مليح » بكل تفصيلاته ، فمن يدري لعله يكون آخر لقاء بالمحبوبة .

ويستمر « مليح » في وصف هؤلاء الغيد مصعداً من أقدامهن إلى أجسادهن إلى أن يتحرك الركب متجهاً وجهته :

يُجلِّلُهَا الأحمالَ غيدٌ كأنَّمَـا جُلِينَ بماءِ المُذهَبِ المتَرقْرِقِ
خِدَالُ الشَّوَى ، قبُّ البُطونِ كأنَّمَا تَقَسَّمْنَ رِيَّا البَابِلِيِّ المعُتَّقِ[٤٦]
كما اهتزَّ أثْلٌ تحتَ ريحٍ تُمِدُّهُ أنابيبُ جوفٌ بَيْنَ نَخْلٍ وخَنْدَقِ
تَصَبَّحْن مِنْ بَرْدِ الغَدَاةِ كما احتَنَتْ لأطفَالِها أدْمُ المَهَا المتَعَنِّقِ
أصُولَ الغَضَا لم تُضح حتى تَعوذَتْ بـه مِنْ أجيجِ الوَاهِجِ المتَوقِّدِ

ويبرز مليح محبوبته « شماء » في نهاية الصورة وقد استوت على بعير ناعجي ضخم كأنه جانب من جبل « خلاقة » تحاول أن تحكمه بالزمام وهو يستجيب تارة لها ، ويستعصي أخرى، ومن خلال حركة جذب الزمام تبرز أنامل شماء من ردائها الرقيق النسج:

فَلمَّا تَرَكْنَ الدَّارَ وَحْشَاً ووجَّهَتْ ... عَنَاجِيجُ تَغْشَى ذَا حريبٍ مُسَوَّقِ
مُنير تَجُوزُ العيسُ من بطَنَاته ... حَصَى مثلَ أنواءِ الرَّضيح المفَلَّقِ
تَزَوَدْتُ من شَمَّاءَ نظرةَ عاشقٍ ... بِهَاهَائمٍ من يُخطِرِ القَلْبَ يَغْلَقِ
غداةَ ثَنَتْ من ناعجيٍّ كأنَّهُ ... سَمَاوَةُ حَيْدٍ من خُلاقةُ مُشْرِقِ
إذا قَدَعتْـهُ بالزِّمامِ وأَبْرزَتْ ... أنامـلَ فُتخاً من رِدَاءٍ مُحقَّقِ
تَوَقَّى بِعطفَيهِ الزِّمَامَ وتـارَةً ... يُصَمِّمُ في مَثناتـهِ غَيْرَ مُتَّقِي

وإذا كنا لم نر صاحبة مليح هنا إلا في نهاية الصورة ، وقد استوت على بعيرها ، وإذا كنا لم نر منها إلا أناملها الفتخ ، فإننا نقع في قصيدته الرائية (جزعتُ غَدَاةَ نُشصت الخدورُ) [٤٧] على صورة واسعة لها وقد أحاط بها فتيات القبيلة يصحبنها إلى بعيرها الذي أعددنه لها ، ونرى من أوصاف هذه المحبوبة الظاعنة أنها طويلة العنق ، ثقال ، حوراء ، عذبة الفم ، ممتلئة السيقان مستويتها تدافع لثقل خطوها طرة الخلخال فيطير فضاضه :

وقامَ خَرَاعـبُ كالموزِ هَـزَّتْ ... ذَوَائبَـهُ يَمَانيـةٌ زَخُـورُ
لهُـنَّ خُدُودُ جنَّةٍ بَطْن حَوْمَى ... وللرَّمـلِ الـرَّوَادفُ والخُصُورُ
يُطفْنَ بعوهَجٍ غَيداءَ مثْل الـ ... ـغَمامةِ بَرقُهـا عَمـلٌ مُنيرُ
تَقُـومُ فَتَنْثَنِي وتُمِـرُّ هَوْنـاً ... كما تَبعَ الرِّيَـاحَ نَقا يمُورُ
كما تمشي النَّزيعـةُ زيَّنَتهـا ... مع الحُسْنِ الأجلَّةُ والضَّمُورُ
يَزينُ مَوَاكف العَبَرات منهـا ... مَدَامعُ ساكناتُ الطرف حُورُ
ومَثْلوجُ الغُرُوبِ يَمُجُّ ريَّـاً ... شُنَانَ المسْك خَالطهُ العصير
تُنيفُ بَواضِحِ الليتين تكسو ... تَلاعَتَـهُ الزَّبَرْجَدُ والشُّذُورُ
ثَقيلةُ مَوْضعِ الأردافِ تخطو ... على بَيْضاءَ ليْسَ بها وقُـورُ
تُدافـعُ طُـرَّةَ الخلخَـالِ حَتى ... يَظلَّ فضاضُـه عَنْها يَطـيرُ[٤٨]

ونقع في قصيدته اللامية (أجَدَّ الخليطُ اليومَ أشكَ التزايُلِ) [٤٩] على صورة طريفة لصاحبة « مليح » وهي تحاول ركوب البعير وتحاول أن تستمسك بالأنامل ، غير أن الحركة تجهدها ، فيجري عرقها على الجيد والأعطاف ، ويحاول البعير النهوض فيبني صدره بيديه، ولا يكاد يقوم بها لولا شدته .

وفي أثناء ذلك يتوقف مليح عدة وقفات ليبرز لنا مواطن الجمال والزينة في صاحبته:

وَملْنَ بليلى نحوَ جَلسٍ كأنَّما ... تَحدُّرُ ذفرَاهُ نُقَاعَةُ نَاطِلِ
فلمَّا دنَتْ من حمله وهو هاجِدٌ ... لها عارفٌ للحَبْسِ مُرْخي الخصَائلِ
سَمَتْ فوقَهُ للظِّلِّ وهي مكيثةٌ ... بَهيرُ الحَشَا واستمسكت بالأنَاملِ
تَرَى بُرحَاء الرِّبْو يَجْري حَبَابُهُ ... على الجيد والأعْطاف غير العُواطل
إلى سَلَبٍ يرتجُّ ثُمَّ تَؤُودُهُ ... بأرداف بُوصٍ مثل دعص الخمائلِ
مُهَضَّمَةُ الأحشاء مكُورةِ الشَّوَى ... قَطوفُ الخُطَا خَلخالُها غيرُ جَائلِ
نَقيَّةُ بَيْنِ المحجرين كأنَّما ... كَسَتْ مُذْهباً مُجْرَى الدُّمُوعِ الهَوامِلِ
إذا اطرَدَتَ بينَ الوشاحين حرِّكت ... أرَاخيَّ مُصْطَكٍ من الحلْي حَافلِ
إذَا هي ناءَت للقيامِ تخضَّدَت ... تخضُّدَ مَتنَى شارِبِ الرَّاحِ مائلِ
فلمَّا استقرَّت فوقهُ وهو مُسْتَوٍ ... بمختلف الألـوانِ داني السَّدائلِ
بَنى بيَديه صدرَهُ ثم لم يكَدْ ... يَقُومُ بهـا لـولا اشتـداد المفاصِلِ[٥٠]

* * *

وقد احتل وصف إبل الظعن حيزا واسعاً من مشهد الرحيل في شعر مليح على خلاف من سبقوه في هذا المجال ، فبشر بن أبي خازم - على الرغم من تعدد مشاهد الرحيل في مقدمات قصائده - لا يذكر الإبل إلا في بيت واحد[٥١] ، ومثله عنترة[٥٢] ، ويخصها زهير ابن أبي سلمي بأربعة أبيات[٥٣] في إحدى مقدماته ، أما عمرو بن قميئة فجملة ما وصفها به خمسة أبيات[٥٤] موزعة على مقدمتين ، وأغفل ذكرها امرؤ القيس ، وعبيد بن الأبرص، والأعشى ، ولبيد والمثقب العبدي .

ولا يعني كلامنا أن هؤلاء الشعراء لم يصفوا الناقة في شعرهم ، بلى ؛ قد وصفوها ، ولكن وصفهم لها يأتي في إطاره التقليدي من وصف الرحلة ، ولكنهم لم يقفوا عند هذه الإبل المعدة للظعائن ، ولم يصفوها في إطار هذا المشهد كما نرى عند مليح .

ومليح في وصفه لهذه الإبل يركز على مجموعة من الصفات فهي عنده إبل مسنة ، مغتلمة ، ضخمة الجسم ، شحمها متراكم ، وأسنانها حادة ، نراها - كما مر بنا من وصفه - تجاوزت السنة الثامنة والتاسعة فبزلت أنيابها ، وأصبحت كزج الحربة :

سَديسٍ وعامـيٍّ البُـزول لنابه شَبَـاةٌ كَزَجٍّ الحَرْبَـةِ المتذلِّقِ[٥٥]

وهي إبل قد رعت حتى تراكم شحمها ، وامحى من جنباتها أثر الولايا والدبر :

أكَلْنَ الحِمَي حَتـى تَصَعَّدَ فَوْقَهـا نَضيدٌ إليه مُنْتهَى النَّيِّ مُدْمَجُ
وَحَتى امتحى من مُسْتَوى صَفَحاتها مَحَصُّ الوَلايا والوَقيعُ المسَجَّجُ
عَوارِضُ مِـنْ نَوءِ السَّماكيْن مُزْنُهُ يُنحَّرُ في البيض الدِّمَاث ويُنْتجُ
هَمَلن به حتَّى دَنَا الصَّيفُ وانقَضَى رَبيعٌ ، وحتى هائجُ البقْلِ أملجُ[٥٦]

وتأخذ صورة الإبل بعداً آخر من القوة حين يضيف مليح إليها صفة الاغتلام :

تَنَـادَوا بالرَّحيـلِ فأمكَنَتْهُـمْ فُحـولُ الشَّـوْلِ والقَطـمُ الهَجيرُ[٥٧]

ويركز مليح بصفة خاصة على رؤوس هذه الإبل ، وعلى مشافرها وما تقذف به من لغام ، وعلى صريف أسنانها وما يحدثه من صوت مرعد ، وقد مر بنا شيء من صفة لغام هذه الإبل الذي تقذفه أجوافها ، أما صريف أنيابها فنراه يشبه بهزيم الرعد في قوله :

كأنَّ صَرِيفَهُـنَّ إذا تَسَامَـت مَذَاكيهـا ولَـجَّ بهـا الهَديرُ
رَجيفُ المزْنِ بَيْـنَ مُسَدَّمَـاتٍ يَشُـبُّ صَرِيفُهـنَّ شَبـاً ذُكُـورُ[٥٨]

ومرة أخرى نراه يشبهه بصوت الصقور :

مُحمَلْجـةِ الأثبـاج دُفـقٍ كأنمـا تَغرِّدُ ألحيها اصطرارُ الأجَـادلِ[٥٩]

وصحيح أن كل هذه الصفات تعكس مرح إبل الظعائن ونشاطها وقوتها في بدء الرحلة ، ولكن نحس أن جملة هذه الأوصاف من الضخامة ، وحدة الأنياب ، وصوت الصريف المفزع تشي بإحساس من الفزع ، فهل كان مليح يسقط إحساسه بالفراق على مشاهد هذه الإبل التي تبدو لنا وكأنما إبل أسطورية؟! ربما . .

* * *

ووقف مليح عند منظر الهوادج وما عليها من ستور ، وما بداخلها من طنافس ووسائد، كما وقف غيره من الشعراء ، فعرض لنا صوراً متنوعة تدل على ثراء صاحبته وغناها ، فنراه يشير في إحدى قصائده إلى القز المغطى بالديباج :

ولا حمْلَ إلا الميَسُ أو ذو غفَارَةٍ من القَزِّ مَنقُوشُ العصِيِّ الذَّوابلِ
مُغَطىً بديبَاجٍ يُقارِبْنَ بَيْنَـهُ وبَيْنَ عِتَاقِ الرَّقْمِ غَيْرِ المشَاكِلِ[٦٠]

وفى أخرى نراه يشير إلى رقمها الحبير :

فَلَمَّا أَنْ أُنِخْنَ وبَاشرَتْهَا هَوادِجُ فَوْقَهَا رَقَمٌ حَبِيرُ[٦١]

وفي ثالثة يشير إلى طرائق من أعلى ما يعرض التجار :

وحَتَّى رَأَيتُ العِيسَ تُكسَى مُتونهَا طَرَائِفَ ما تُغلي التجارُ وتُرْبِحُ[٦٢]

وفي رابعة يشير إلى الطنافس والوسائد :

فأَصْبَحْنَ قَدْ عَالينَ بالمَيْسِ فوقهَا وكِسْوَتُهُ من كُلِّ قِطْعٍ و نُمْرُقِ[٦٣]

وفي خامسة يشير إلى لون الستور الأحمر الذي يشبه دماء أجواف البدن :

كأَنَّ مَافَوقَهَا مِمَّا عُلِينَ بِهِ دِمَاءُ أَجوافِ بُدْنٍ لونُهَا جَسِدُ[٦٤]

ومليح في كل ذلك لم يخرج على سنن الشعراء ، لكنه تميز منهم بأن وصفه للهوادج جاء في مشاهد حية متحركة إذ هو يتطرق إلى ذلك من خلال وصفه عملية الإعداد .

والحقيقة أن الحركة عنصر مميز في شعر مليح الذي تناول فيه وصف الظعائن ، وهي سمة ترجح بميزاته في هذا الجانب .

* * *

(٤)

ويرتبط حديث الفخر عند مليح ارتباطاً وثيقاً بحديث المرأة فهو ردة فعل لتجربته معها ، واستعلاء على الألم الذي يسببه تمنعها وصدودها .

ونرى حديث الفخر عند مليح موزعاً على محورين نستطيع أن نسمي أولها المحور الذاتي، وفيه يفخر مليح بفتوته ورجولته وجلده ، ونستطيع أن نسمي ثانيهما المحور القبلي إذ نراه فيه يفخر بقبيلته وأيامها ، على عادة الشعراء .

وفي فخر مليح الذاتي نراه يعرض نفسه من خلال قدرته على اجتياز الفلوات ، وخوض أهوالها ، وتحمل مخاطرها ففي قصيدته القافية (تشوّقت إثر الظاعن المتفرق) [٦٥] يعرض لنا صورة هذه الصحراء الموحشة التي تتعاوى سباعها جوعاً ، وكيف اجتازها بناقته المذعان القوية، وكأنه يشير بهذه التجربة الحسية إلى تجربته النفسية ، أو يجسد فيها

تجربته النفسية ، فكما أنه استطاع تجاوز هذه الصحراء المخوفة ، فهو قادر أيضاً على تجاوز آلامه المبرحة ، وعلى ترك أحبته ، ومعاشرة غيرهم وعلى الخروج من همه الذي ينشب كلاليبه بين الحشا والمخنق :

وَدَاوِيَّةٍ مَلْسَاءَ يُمْسي سِبَاعُهَا ... بِهَا مِثْلَ عُوَّادِ السَّقِيمِ المغَفَّقِ
تَعَاوَى بِهَا ليلاً ويضبحُ بعضُها ... لبعض على الحسرَى ببيداءَ سملَقِ
أجَزْتُ بِمذْعَانِ العَنِيقِ تربَّعَتْ ... مَعَ الشَّوْلِ صَوْبَ العَارِضِ المتبعِّقِ
فأوْثَجَتِ النَّيَّ الوثيقَ وأظهَرَتْ ... جراحَ الولايا فَوقَ دَفٍّ مُبلَّقِ
وإنِّي لأُمسي نائياً من أحبَّتي ... لَدَى غيرِ ذي قُرْبى ولا متخلِّقِ
وإنِّي لَخَرَّاجٌ مِن الهَمِّ مُنْشباً ... كَلاليبَه بين الحشَا والمخنَّقِ(١)

وفي قصيدته الجيمية (أفي أربع للرِّيح فيهن مَدْرَجُ) [٦٦] يجيب على تمنع صاحبته بقوله:

فقلتُ لَهَا هَلْ حُبُّكِ اليَوْم زَائِدٌ ... على كُرْبَةٍ لابُدَّ أنْ سَتفرَّجُ

ثم يعقب ذلك مباشرة بحديثه عن اجتياز الصحراوات المخوفة ، وكأنه يجسد قدرته في الخروج من مأزق الحب في قدرته على الخروج من أخطار الصحراء ، وذلك إذ يقول :

فإنَّك لا تَدرينَ أنْ رُبَّ مَهمهٍ ... به الحُقبُ كَوراً والنَّعَامُ المُخَرَّجُ
نَصَبْتُ لَهُ وَجْهي وقد جَعَلَ المهَا ... إلَى العُلْجَانِ العُمِّ والضَّالِ يَحْرَجُ[٦٧]
إذَا أوْقَدَتْ نيرانَها البيدُ واشتَوَت ... جَنَادبُهُ يَومٌ من الصَّيْفِ مُنضجُ
قَطَعْتُ حِفافَيْهِ بذات بُرايَةٍ ... من الأدْمِ تَزهَى زَارَها حِينَ تأنجُ[٦٨]

وتتعدد تنويعات مليح على هذا الوتر في عديد من قصائده فيتفنن في وصف مخاطر الصحراء وأهوالها ، ويعرض إلى ناقته فيصف صلابتها وقوتها، ويعطف إلى نفسه فيبين جلده، وصبره ولكن اللافت هنا أن رحلة الصحراء تكاد تكون هي العنصر الوحيد في الفخر الذاتي عند مليح ، ويبدو أن مغامرة اجتياز الصحراء وأهوالها كانت تشكل جانباً من المثل الأعلى للرجولة والفتوة في عالم الصحراء ، ودليلنا على ذلك ما نراه من ذكر امرىء القيس لرحلة الصحراء على أنها واحدة من أربع تدعوه للتشبث بالحياة :

وأصبحتُ وَدعتُ الصبا غير أنني ... أُراقبُ خَلات من العيش أرْبعا
فمنهنَّ قولي للندامى تَرفَّعُوا ... يُداجون نَشّاحاً من الخمر مُنزعا
ومنهُنَّ ركضُ الخَيْلِ تَرْجُم بالقنا ... يبادرن سرباً آمناً أن يُفزعا
ومنهُنَّ نَصُّ العيس والليلُ شاملٌ ... تيمَّمُ مَجهُولاً من الأرض بَلقعَا
خوارجَ من بَرّيةٍ نحو قريةٍ ... يُجدِّدْن وصلاً أو يُقربن مطمعا [٦٩]

ونقع في شعر جميل بن معمر على ما يؤكد أن العربي كان يرى في خوض الصحراء مظهر فتوة ، بقدر ما يرى في حياة الدعة والاستقرار ، والركون إلى الرعي مظهر خمول وعجز وذلك في قصيدته الفائية :

ألا أيهذا اللائمي أنْ أُحبها ... تأمّل كذا أيّي وأيُّك أعنفُ
أجدَّك لم تحببْ فَتخفق رسلةً ... برَحْلك أو باقي الهَباب مُشَرَّف
عَلندىً كعَير العُون قد شق نابُه ... على الأين فيه عزةٌ وتعَجْرُفُ
أَمَ انتَ امرؤٌ ترْعيَّةٌ جلُّ هَمّه ... جِمالٌ ومعزىً لاتزال تُوَنِّق [٧٠]

إلى آخر قصيدته .

إذن فلا جناح على مليح أن يجعل رحلة الصحراء عنوان فخره ودليل فتوته ، وآية جلده على تحمل كل المشاق ، ومنها حبيب ، أو صدوده .

أما الجانب الآخر من فخر مليح ، ونعني به الفخر القبلي فهو محدود المساحة ، إذ لا نراه إلا في قصيدة وأرجوزه ، أما القصيدة فهي القافية (تَشَوَّفتَ إثرَ الظاعنِ المتفرق) [٧١] ، وأما الأرجوزة فهي قافية أيضا (يا دار ليلى من شباك الخَانق) [٧٢] وفي القصيدة يفتخر بأيام قبيلته في الجاهلية والإسلام ، ويفخر بأبيه الذي أصلح ما بين هوازن وتميم ، ويعدد جملة من ذوي الخطر قتلتهم قبيلته :

فإنّي كَما قد تعلمينَ ابنُ حُرَّةٍ ... لقَرْم هجانٍ وابنِ آل مُحَرِّق
وإني ابنُ صخرٍ ثم آل مؤمّلٍ ... هنالك حوضُ المجد غيرُ المرنق
أبي نصبَ الرَّايَات بينَ هوازنٍ ... وبينَ تميمٍ بَعدَ خوفٍ مُحدِّقِ
فلما رَأوا قَوْمًا وسمراً خضابُها ... دماءُ الكماة في أنابيبَ مُرَّقِ
وسابغةً خُضراً وكُل مُضرسٍ ... بماءِ الحديد في صديد ورَوْنَقِ
سَمَوا نحو صخرٍ بالعُيُونِ وأعلنوا ... به ، ودَعَاهُ منهُمُ كُلُّ مُشفِقِ

ويمضي في الفخر ذاكراً يوم « أنف » الذي كان لهم على « سليم » وقتلهم (ابن حبواء)[٧٣] و (عمراً) و (خالداً) و (ابن معتق) وهم في تقديرنا أبطال من سليم ومن ذوي الشأن فيهم :

ونحنُ بطحنَا يَوْمَ أنف فلم تَعُدْ سُلَيمُ بن مَنصورٍ بجأواءَ فيلَقِ
غَداةَ أسَرْنا في الحبالِ ملوككُمْ عُناةً بني الصَّباحِ وابن المحلَّقِ
قتلنا ابنَ حَبْواءَ الذي كان خَيْرَهُم وزِدْنا عليه خَالداً وابـن مُعْتقِ
وعمـراً نجلنَـا حَلْقَـهُ بمرشَّـةٍ متى ما تُخالِطْهَا الأسنةُ تَشْهَقِ

ويتسع نطاق الفخر لدى مليح ليتجاوز قبيلته مفتخراً بخندف كلها :

فَإنْ أفتَخرْ أبْلُغْ مَدَى المجد كُلَّهُ وإن أقتَصر أبلُغْ سناءً وأصدُقِ
وإن افتخرْ يَوْماً بخندفَ لا أجدْ لها خطراً يومَ الرِّهانِ المُسَبَّقِ
هُمُ السَّمعُ والعَينانِ والرأس كُلُّهُ ألزُّ بها الكُفَّارَ عن كُلِّ منطِقِ

أما أرجوزته (يادار ليلى من شباك الخانق)[٧٤] فلا يكاد يتجاوز فيها المحاور التي دار عليها في فخره في قصيدته القافية ، فيفخر أيضاً بخندف ومضر غير أن فخره يأتي عاماً غير محدد بوقائع وأيام على نحو ما نرى من قوله :

إنِّي لأنمِي في الأشمِّ البَاسقِ
بينَ بُيُوت خِندفَ المصَالـقِ
ومُضَـرَ المَنهرتـي الشَّقَائـقِ
تملأُ بيـنَ الغَرْبِ والمشَارقِ
وبيـنَ أرضِ عَـدَنٍ وغافـقِ
وبيـنَ أعلى جَدَسٍ ودابـقِ

ويعرج إلى الإسلام فيفخر بأن النبي - ﷺ - من قومه أي من مضر وذلك قوله الذي أوردناه في بداية بحثنا :

فضَّلنا اللّـهُ بأمرٍ رائقِ
بالعَدلِ فينا والنَّبيِّ الصَّادقِ
ونحنُ أهل الدارِ والسُّرادقِ

وعلى أي فالفخر القبلي عند مليح لا يكاد يتميز بشيء مما درج عليه شعراء الجاهلية والإسلام .

(٥)

وبناء القصيدة عند مليح يكاد يخضع لنهج مطرد إذ عادة ما يبدأ قصيدته بوصف الظعائن ، ومن خلاله نتعرف إلى صورة المحبوبة ومواجده نحوها ، ثم يخرج من الظعائن إلى الفخر الذاتي أو القبلي والفخر - كما أسلفنا - وثيق الصلة بتجربة الحب عند مليح ، وبعلاقته بالمرأة ، وعلى هذا نستطيع القول : إن القصيدة عند مليح تحققت لها الوحدة على نحو من الأنحاء .

أما مادة الصورة عند مليح فهي منتزعة من البيئة المحيطة حيوانها ونباتها ، وأجوائها ، وهي في عمومها مادة برية صحراوية فمن حيوان البيئة استمد غير صورة ، ففي إبراز جيد المحبوبة شبهه بجيد غزالة ترشح ولدها[٧٥] . أو بمجدولة الجيد مرشح[٧٦] ، ولإبراز حركة النساء المتحملات في الصباح الباكر ، وانكماشهن من البرد شبههن بالمها تنحني على أولادها تحت أصول الغضا [٧٧] كما شبه دخولهن في الهوادج بولوج بقر الوحش في أعياصها [٧٨] .

ودخل القطا ، والنعام ، والحمر الوحشية مادة في تشكيل صور حركة الناقة وسرعتها[٧٩] ، كما استمد مليح من أصوات الصقور مادته في تشكيل صورة صريف أنياب النوق[٨٠] كما كانت النوق ذاتها مادة لغيرها من الصور إذ شبه سواد الليل بأثباج البخاتي :

وليلٌ كأثباجِ البخاتيّ شائعٌ على الرَّملِ يُدجى مَرَّةً ثُمَّ يُسْدفُ[٨١]

كما شبه أنين الرياح في الأطلال بتهدج أصوات النوق على أولادها

هل هَيجتك طُلُولُ الحيّ مُقفرةً تعفُو مَعَارفهَا النُّكبُ السَجاسِيجُ
كالمُعوذاتِ رَجَعْنَ السَّجْعَ في هَوَجٍ جُوفٍ لَهُنَّ على الأوْلادِ تَهْدِيجُ[٨٢]

أما الأرانب البرية فاستمد الشاعر من حركتها مادته في تصوير حركة الرأس المقطوعة:

بضَرْبٍ تَرَى أُمَّ الدِّماغِ كَأَنَّها إذا نَدَرَتْ من جَوْبِها أُمُّ خِرْنِقِ[٨٣]

أما المادة النباتية فهي متنوعة في شعر مليح ، يدخل فيها الأثل والخزامى والأقحوان، فمن (الأثل) أخذ مادته في تصوير حركة النساء :

نَهَضْنَ كأَثْلِ المنْحَنَى اعتمَّ نَبْتُه وأَغْرَقَه ماءٌ رَوِيٌّ وأَبْطَحُ[٨٤]

ومن الخزامى والأقحوان أخذ مادته في تصوير طيب رائحة المحبوبة ، وبياض أسنانها[٨٥] .

ومن بيئة هذيل - على وجه الخصوص - يأخذ مليح مادته في تصوير اهتزاز قدود النساء في مشيهن ، ولعل « مليح » أول شاعر يرد في شعره ذكر شجر الموز ، وذلك في قوله:

وقَامَ خرَاعِبٌ كالموزِ هَزَّتْ ذوائبُهُ يَمَانيةٌ زَخُورُ[٨٦]

كذلك نرى في صور مليح مادة من المطر والرعد والبرق ، فالمرأة غمامة برقها عمل[٨٧]، والريق عليه شنان المرزمات[٨٨] ، وصريف النوق رجيف مزن[٨٩] والموت النازل على رقاب الأعداء شؤبوب[٩٠] .

وتستوقفنا في شعر مليح تلك المادة التي استمدها من المنسوجات ، ففي غير صورة نرى رداء العصب أو الرداء المعصب يقول :

فَقَلَّ ما لَبِثُوا حَتَّى اسْتمرَّ بهمْ بَيْنٌ كَعَطِّ الرِّدَاءِ العَصْبِ مُنجَرِدُ[٩١]

ويقول في أخرى :

فَمَا كانَ عَنْ يَوْمَين حَتَّى تَصَدَّعوا لِبَيْنٍ كَما انشَقَّ الرِّدَاءُ المصَيَّحُ[٩٢]

وكانت الخمر أيضا مادة لعديد من الصور عند مليح ، فبها استعان في تصوير حركة النساء وذلك في قوله :

خِدَالُ الشَّوَى قبُّ البُطون كأنَّما تَقَسَّمْنَ رَيَّا البابليِّ المُعَتَّقِ[٩٣]

وفي قوله :

إذا هيَ نَاءَتْ لِلقيـامِ تخضَّدَتْ تخَضُّدَ مَتْنَى شَارِبِ الرَّاحِ مَائِلِ[٩٤]

كما أخذ من مذاق الخمر وصفه لريق صاحبته :

بِلَدْنٍ به تَمتاحُ عَذْبـاً كأنَّمـا يُعَـلُّ إذا ما سَاقِطُ الثَّلجِ يَنْضِحُ
براحٍ إذا ما صُفِّقَتْ في زُجَاجَةٍ تَزيدُ بـه طَوْراً وَطَوْراً تُصَرَّحُ[٩٥]

والخمر ليست غريبة على بيئة مليح ، فمعروف أن ديار هذيل كانت قريبة من أماكن بيعها والاتجار بها في الجاهلية .

وشيء آخر ربما يمت بصلة لبيئة مليح ذلك هو السفن فمعروف أن ديار هذيل قريبة من البحر الأحمر ، والسفن التي تمخر عبابه رائحة غادية ، فلا غرابة أن تكون السفن خطاً بارزاً من خطوط تكوين صورة مليح نرى ذلك في قوله :

جَوَافِلِ في السَّرَابِ كما استَقَلتْ فُلـوكُ البَحـرِ زالَ بِهـا الشَّرِيرُ[٩٦]

وفي قوله :

مُصطَفَّةٌ كاصطِفَافِ الفُلْكِ لاجُنَّ تَحْتَ السِّياطِ ولا مَشْعُوفَةٌ شُرُدُ[٩٧]

وفي قوله :

وقُلت لها عُوجِي بَعيرَكِ وانبرَى بِها جُؤْ جُؤٌ مِثْلُ السَّفينةِ أهْوَجُ[٩٨]

وفي قوله :

كَمَا نَشَصَتْ في البحرِ أوتَادُ قَادسٍ مُريسيةٌ طَابَتْ لَهُ فَهوَ جَافِلُ[٩٩]

* * *

وتستوقفنا في شعر مليح بعض الصور التي تدل على دقة الملاحظة والقدرة على إيجاد صلات شبه بين الأشياء المتباعدة وذلك مثل تصويره للحب ومعاناته بموم الربع أي الحمى :

به مِن هَوَاكِ اليومَ قَدْ تَعلمينَهُ جَوىً مِثلُ مُومِ الرَّبعِ يَبْرى ويلعَجُ[١٠٠]

ومثل تشبيه حركة الناقة تختال في مشيتها بحركة الخريع (الفاجرة) في تكسرها وتثنيها :

لَجُوجٍ إذا استَلجَجتَها ذاتِ رَيّعٍ إذا خُودِعَتْ زَهْوَ الخَرِيعِ المُخَايِلِ[١٠١]

* * *

تلك أبرز معالم المادة التي شكل منها « مليح » صورته الشعرية ، وهي - كما ترى- مادة قريبة مما يقع عليه الحس في بيئته المحيطة ، ومليح في ذلك قريب كل القرب من أولئك الشعراء الذين تميزوا في صورهم بمادة بدوية صحراوية مثل : بشر بن أبي خازم ، والحطيئة وكعب بن زهير ، وإن كنا نرى بين حين وآخر ملمحا مما يدركه الحس في بيئة هذيل وهذا أمر طبيعي .

* * *

أما بناء الصورة عند مليح فهو بناء يعمد إلى استقصاء الجزئيات وتتبعها ، ومن ثَمّ فالصورة لا تنقطع عنده في بيت واحد ، وإنما نراها آخذة في التنامي في عدة أبيات عدة ، ولمليح طرائقه في إنماء الصورة ، فهو حينا يعمد إلى القص والسرد وتتبع الأحداث كما رأينا في تصويره لإعداد الرحل في النصوص التي اقتبسناها من شعره في هذا الجانب وحينا آخر نراه يلجأ في إنماء الصورة إلى مراكمة الأوصاف وتتبع التفصيلات كما نرى مثلا في وصفه لصاحبته :

مهضَمَةُ الأحشَاءِ مَكْورَةُ الشَّوى قَطُوفُ الخُطَا ، خَلخَالُها غَيرُ جَائِلِ
نقيَّةُ بَين المحجرَيْنِ كأنَّمَا كسَتْ مُذْهَباً مجرى الدمُوعِ الهَوامِلِ
إذا اطَّرَدَتْ بين الوشاحَينِ حَرَّكَتْ أَرَاخِيَّ مُصْطَكٍّ من الحلي حَافِلِ
إذا هِيَ نَاءَتْ لِلقيامِ تَخَضَّدَتْ تَخَضُّدَ مَتْنَيْ شَارِبِ الرَّاحِ مَائِلِ[١٠٢]

كذلك اتسمت الصورة عند مليح بالحركة فقلما نرى شيئاً ساكناً في شعره ، فإذا وصف النسوة وصفهن وهن يتحركن جيئة وذهاباً في إعداد الرحل ، وإذا وصف صاحبته وصفها في أثناء معالجتها لركوب البعير ، وإذا وصف الظبي أو الغراب رأيناه يعرضه حيا متحركاً:

غداةَ جَرَتْ لَنَا بفراقِ سُعْدى ظِبَاءُ الجِزعِ سَانِحَةً تَعِيرُ
ظِبَاءٌ غَيرُ سَاكِنَةٍ وحُمُّ الـ خَوَافِي حَتْمُها عَجِلٌ عَسِيرُ

وشحّاجٌ يَنُوءُ لِمَنْكِبَيه أحَمُّ كأنّه فَرَسٌ مُغِيرُ
نَذَيرا البَيْنِ قد عَلِمَا بُسعْدَى وأيامُ الفِراقِ لَهَا نَذِيرُ[١٠٣]

وإذا تعرض للريط والطيقان التي نشرها القوم على عصيهم وأسيافهم ليحتموا بها من وهج الظهيرة وصفها وقد عبثت بها الريح فأخذت تخفق كأجنحة العقبان :

وألقَوا عَلَى أسيَافِهم وعِصِيِّهِمْ رَواقاً لَهُم ظَلّت بِهِ الريحُ تَعْصِفُ
من الريطُ والطِّيقَانِ تنشَرُ فوقهُمْ كأجْنِحةِ العِقبَانِ تَدنُو وتَخْطَفُ[١٠٤]

كذلك نرى الصورة عند مليح تصخب بعديد من الأصوات من أصوات النوق ، إلى أصوات الغربان ، والظباء إلى أصوات الرعد إلى أصوات النوائح والنوادب .

وصفوة القول إن الصورة تبدو في شعر مليح عامرة بالحياة .ربما لا يحول بين القاريء الحديث وبينها إلا المعجم اللغوي المليء بغريب اللفظ الذي آثره مليح ، على أن مليحاً في استخدامه لهذا المعجم كان ابن بيئته هذيل التي تفردت بمعجمها اللغوي الخاص .

ذاك مليح بن حكم شاعر الحب ، ووصاف الظعن ، نرجو أن نكون قد كشفنا عن شعره اللثام ، وألقينا عليه بعض الضوء .

الهوامش

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١٦٩/٣ .

(٢) شرح أشعار الهذليين ١٢٢٢/٣ - ١٢٢٣ ، النواهل : المشتهيات للأكل كما تشتهي الإبل الماء، التلة : الصرعة .

(٣) لسان العرب لابن منظور ، مواد : رعب ، طلب ، وصب ، توج ، درج ، دلج ، رهج، زلج ، سجج، عنج ، لجج ، نفج ، برح ، شحم ، صحح ، نفح ، جسد ، ردد ، غرد ، عود ، جور ، حرر، ضرر، هشش ، أبط ، حطط ، سطع ، سلع ، قدع ، مرع ، سفف ، صدف ، صنف ، عزف، حدق، طوق، غفق ، حفل ، عول ، جدم ، حتم ، عمم ، موم ، بطن ، جنن ، حين ، وله ، توا ، رخا ، رمي ، طخا ، ملا .

(٤) التاج للزبيدي مواد : درج ، حطط ، بطن ، نوى ، رمى ، أبط ، وله ، جور ، حين ، محن، عول، شجح ، هشش ، شحح ، صدف ، عوذ ، طلب ، سدف ، وهج ، سطع، عنج ، توج ، موم ، زلج ، سرى ، حتم ، برح ، توا ، تمرج ، جدم، سلع ، عمم ، صنف ، قدع ، لجج ، ملو ، طوق ، زرف ، وصب ، رعب ، حرر ، دلج ، مفخ ، ضرر ، ردد ، سجج، وله .

(٥) المخصص لابن سيده ، ٢٤/٣ ، ١٣٥/٨ ، ٤٥/٩ ، ٦٦:١٦ ، ٧٤:٦ ، ٥٤ ، ٢٠١ ، ٢٠٨ .

(٦) المحكم لابن سيده ١٢٩/١ ، ١٠١/٣ ، ٢٩٧ ، ٣٤٤ ، ٢٥٧/٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٦ .

(٧) التكملة للصغاني ، مادة : زرف ، ملو ، زلج ، رهج ، شحح ، عقق .

(٨) أساس البلاغة للزمخشري ١٨٢/١ ، ٣٨٥ ، ٦/٢ .

(٩) جمهرة اللغة لابن دريد ٢٢٥/١ .

(١٠) معجم البلدان لياقوت : مواد : روضة عمق ، العراق ، حومى ، الشرى ، لفلف والفقير ، قفا آدم، أعيار ، الفيض ، توج ، الجينينة .

(١١) معجم ما استعجم للبكري : الشرى ، حومى .

(١٢) المشترك وضعاً لياقوت ، ٢٢٢ .

(١٣) معجم الشعراء للمرزباني ص ٤٤٩ .

(١٤) شرح أشعار الهذليين ١٠٩٩/٣ .

(١٥) تاريخ الأدب العربي لبلاشير ، ص ٣١١ .

(١٦) تاريخ التراث العربي لسزكين ٢٦٦/٢ - ٢٦٧ .

(١٧) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٨٤/١ .

(١٨) شرح أشعار الهذليين ١٠٠٥/٣ .

(١٩) المصدر نفسه ١٠٥٦/٣) .

(٢٠) المصدر نفسه ١٠٥٦/٣ - ١٠٥٧ ، البرازق : الجماعات .

(٢١) ديوان الحطيئة ص ٢٧٦ .

(٢٢) شرح أشعار الهذليين ١٠٥٧/٣ ، الجلس : الجبل .

(٢٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣٨٧/٢ .

(٢٤) انظر تاريخ الطبري ج ١٠٤/٤ ، والكامل لابن الأثير ٣٩٥/٢ .

(٢٥) شرح أشعار الهذليين ١٠٠٥/٣ .

(٢٦) المصدر نفسه ١٠٠١٧/٣ .

(٢٧) شرح أشعار الهذليين ١٠٤٣/٣ . لامعات الغور : السحاب ، تخرف : يصيبها الخريف .

(٢٨) المصدر نفسه ١٠٥٢/٣ .

(٢٩) المصدر نفسه ١٠٤٤/٣ .

(٣٠) المصدر نفسه ١٠١١/٣ - ١٠١٢ .

(٣١) شرح أشعار الهذليين ١٠١٧/٣ ، المؤاحنة : المعاداة .

(٣٢) المصدر نفسه ١٠٤٥/٣ ، لغبهم : كذبهم وإكثارهم ، يجنف : يميل .

(٣٣) ديوان عنترة ص ١٩٠ - ١٩١ .

(٣٤) شرح أشعار الهذليين ١٠٤٣/٣ ، قدعة : دراعة لا تبلغ ساقيه . المسوف : المشمم . السخاب : قلادة تتخذ من قرنفل وسك ومحلب ، رفرف : قرط .

(٣٥) شرح أشعار الهذليين ١٠٥٧/٣ .

(٣٦) المصدر نفسه ١٠١٢/٣ ، شكلاء : مداهنة . ختور : خدوع . الإدهان : النفاق .

(٣٧) شرح أشعار الهذليين ١٠٢٥/٣ - ١٠٢٦ .

(٣٨) المصدر نفسه ١٠٣٩/٣ ، تجمع : تبعد ، المتبلح : الذي يقوم فلا ينهض .

(٣٩) المصدر نفسه ١٠٠٢/٣ ، رمي : سحاب ، معرق : من ناحية العراق عراق البحر .

(٤٠) المصدر نفسه ١٠٣١/٣.

(٤١) المصدر نفسه ١٠٤٥/٣ .

(٤٢) المصدر نفسه ١٠٣٥/٣ .حب مزلج : فيه تغرير. ثبح البحر : وسطه ومعظمه ، تزعج : تُطرد .

(٤٣) شرح أشعار الهذليين ٩٩/٣ - ١٠٠٦ .

(٤٤) الميس : الرحال ، قطع : طنفسة ، نمرق : وسادة .

(٤٥) حطيط : لطيف ، غير مقلق : لا يجول .

(٤٦) خدال : غلاظ ، الشوى : الأيدي والأرجل .

(٤٧) شرح أشعار الهذليين ١٠٠١/٣ . مسوق : أي تبسطه وتسوقه ، أنواء : جمع نوى ، رضيخ : مكور ، محقق : مثل معين ، مثناته : زمامه .

(٤٨) المصدر نفسه ١٠٠٨ - ١٠٠٩ ، الخراعب جمع خرعبه وهي الفتاة الشابة الرخصة ، عوهج: طويلة العنق ، النزيعة : التي أخذت من قوم آخرين فهي تنزع إليهم . الغروب : ماء الفم ، وقور: صدوع ، الطرة : الحاشية ، فضاضه : ما تكسر منه .

(٤٩) المصدر نفسه ١٠٢٠/٣ - ١٠٢٩ .

(٥٠) جلس : بعير عظيم . ناطل : شراب زبيب . الخصائل : خصائل اللحم . برحاؤه : شدته . صبابه: طرائق عرفة . سلب: طويل يعني قامتها . بنى : دعم

(٥١) ديوان بشر بن أبي خازم ص ٥٤ .

(٥٢) ديوان عنترة ص ١٩٣ .

(٥٣) شرح شعر زهير بن أبي سلمى ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .

(٥٤) ديوان عمرو بن قميئة ، ص ١٥٩ - ١٦٠ .

(٥٥) شرح أشعار الهذليين ٩٩/٣ .

(٥٦) المصدر نفسه ١٠٣٢/٣ . الولايا : واحدتها وليّة ، وهو الكساء الذي تمت البرذعة . الوقيع : الدبر . تنتج : تمطر مثل النتاج . الأملج : بين الأبيض والأصفر .

(٥٧) المصدر نفسه ١٠٠٧/٣ . القطم : المغتلم . الهجبر : من الإبل الذي لم يرسل في الإبل .

(٥٨) المصدر نفسه ١٠٠٧/٣ . المذاكي : البزل منها . المسدمات : التي حبست عن فحلها . الشبا الحدة في الأسنان .

(٥٩) المصدر نفسه ١٠٢١/٣ .

(٦٠) المصدر نفسه ١٠٢٢/٣ . غفارة : ثوب يكون على الهودج .

(٦١) المصدر نفسه ١٠٠٨/٣ .

(٦٢) المصدر نفسه ١٠٣٨/٣ .

(٦٣) المصدر نفسه ١٠٠٠/٣ .

(٦٤) المصدر نفسه ١٠١٤/٣ .

(٦٥) شرح أشعار الهذليين ١٠٠٦/٣ . سملق : أرض لاشيء فيها . مذعان : ناقة . المتبعق : المنصب بالماء .

(٦٦) المصدر نفسه ١٠٣٠/٣ .

(٦٧) كور : جماعة . الحقب : الحمير . الخلجان : جماعة العضاه . يحرج : يلجأ .

(٦٨) براية : لحم وشحم . تزهى : ترفع . زارها : صوتها . تأنج : تدخل .

(٦٩) ديوان امريء القيس ، ص ٢٤٠ . ترجم بالقنا : أي تعدو عدوا شديداً .

(٧٠) ديوان جميل شاعر الحب والصحراء ، ص ١٣٦ . الرسلة : الناقة السهلة السير . الهباب : النشاط والسرعة . علندي : غليظ شديد . العون : جمع عانة وهي القطيع من حمر الوحش . الترعية : من صناعته وصناعة آبائه رعاية الإبل . تؤنق : يطلب بها الكلأ .

(٧١) شرح أشعار الهذليين ٣/٩٩ - ١٠٠٦ .
(٧٢) المصدر نفسه ٣/١٠٥٣ - ١٠٥٧ .
(٧٣) ابن حبـواء : هو المعـترض بن حبـواء الظفـري ثم السلمي غـزا هذيلاً في جـيش ومـعـه حمار فسمي جيش الحمار ، وقد لقي هو الجيش بني قرد من هذيل في « أنف » وهما داران إحداهما فوق الأخرى بينهما جبل قريب من جبل .
معجم البلدان : أنف . ومعجم ما استعجم : أنف .
(٧٤) شرح أشعار الهذليين ٣/١٠٥٣ - ١٠٥٧ .
(٧٥) شرح أشعار الهذليين ٣/١١٠٦ .
(٧٦) المصدر نفسه ٣/١٠٤٠ .
(٧٧) المصدر نفسه ٣/١٠٠١ .
(٧٨) المصدر نفسه ٣/١٠٢٢ .
(٧٩) المصدر نفسه ٣/١٠١٩ ، ١٠٢٨ ، ١٠٢٩ ، ١٠٣١ ، ١٠٤٩ ، ١٠٥٥ .
(٨٠) المصدر نفسه ٣/١٠٢١
(٨١) المصدر نفسه ٣/١٠٤٦ ، الثبج : الوسط ما بين الكاهل والظهر . يسدف : يضيء .
(٨٢) المصدر نفسه ٣/١٠٦١ ، ريح سَجيج : لينة الهواء معتدلة ، وقد احتاج مليح فكسر سججا على سجاسيج ، المعوذات الإبل ، الموج : جوفها .
(٨٣) المصدر نفسه ٣/١٠٠٥ ، الخرنق : ولد الأرنب .
(٨٤) المصدر نفسه ٣/١٠٣٨ .
(٨٥) المصدر نفسه ٣/١٠١٥ ، ١٠٢٤ ، ١٠٤٠ .
(٨٦) المصدر نفسه ٣/١٠٠٨ .
(٨٧) المصدر نفسه ٣/١٠٠٩ ، ١٠١٦ ، ١٠٣٤ .
(٨٨) المصدر نفسه ٣/١٠٢٥ .
(٨٩) المصدر نفسه ٣/١٠٠٧ .
(٩٠) المصدر نفسه ٣/١٠٠٤
(٩١) المصدر نفسه ٣/١٠١٣ منجرد : ذاهب ، عط : شق .
(٩٢) المصدر نفسه ٣/١٠٣٨ المصيح : المشقق .
(٩٣) المصدر نفسه ٣/١٠٠٠ .
(٩٤) المصدر نفسه ٣/١٠٢٣ . تخضدت : تكسرت .
(٩٥) المصدر نفسه ٣/١٠٤٠ . اللدن : اللين يرد المسواك . تمتاح : تستَاك .
(٩٦) المصدر نفسه ٣/١٠١٠ . الشرير : شجر في البحر .
(٩٧) المصدر نفسه ٣/١٠١٤ . اللجون : الثقيلة ، البليدة ، مشعوفة : وآلهة إلى أوطانها .

(٩٨) المصدر نفسه ١٠٣٤/٣ . انبرى : انطلق بها البعير .

(٩٩) شرح أشعار الهذليين ١٠٦٠/٣ ، قادس : سفينة عظيمة .

(١٠٠) المصدر نفسه ١٠٣٤/٣ . الموم : الجدري الكثير المتراكب ، والموم أيضاً الحمى .

(١٠١) المصدر نفسه ١٠٢٧/٣ . ذات ريع : تريع في العدو ، ترجع في المشي .

(١٠٢) شرح أشعار الهذليين ١٠٢٣/٣ .

(١٠٣) المصدر نفسه ١٠١٠/٣ - ١٠١١ . حمُّ الخوافي : يريد الغربان .

(١٠٤) المصدر نفسه ١٠٤٨/٣ . الطيقان : الطيالسَة .

المصادر والمراجع

١ - أساس البلاغة : الزمخشري - جار الله أبو القاسم محمود بن عمر ، ط١ ا، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٢ - التاج (تاج العروس) : الزبيدي - محمد مرتضى الحسيني (١٢٠٥هـ) ط. الخيرية ، مصر ، ١٣٠٦هـ .

٣ - تاريخ الأدب العربي : د.ر. بلاشير ، ترجمة د. إبراهيم الكيلاني ، ط. دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٤م .

٤ - تاريخ الأدب العربي : كارل بروكلمان ، نقله إلى العربية د. عبد الحليم النجار ، ط. دار المعارف.

٥ - تاريخ التراث العربي : فؤاد سزكين ، نقله إلى العربية د. محمود فهمي حجازي ، ط. إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، المملكة العربية السعودية ، ١٩٨٣م .

٦ - تاريخ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك : الطبري - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (-٣١٠هـ)، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط. دار المعارف ، ١٩٧٩م .

٧ - التكملة والذيل والصلة : الصغاني - الحسن بن محمد (-٦٥٠هـ) تحقيق : عبد العليم الطحاوي ، ط. دار الكتب المصرية ، ١٩٧٠م .

٨ - جمهرة اللغة : ابن دريد - أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري (٣٢١هـ) ط. حيدر آباد الدكن .

٩ - ديوان امريء القيس ، امرؤ القيس بن حجر الكندي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . ط. دار المعارف ، ١٩٨٤م .

١٠- ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي ، تحقيق : الدكتور عزت حسن ، ط. مديرية إحياء التراث القديم ، دمشق ، ١٩٦٠ م .

١١- ديوان جميل شاعر الحب العذري ، جمع وتحقيق وشرح : الدكتور حسين نصار ، ط. دار مصر ، ١٩٧٩ م .

١٢- ديوان الحطيئة ، رواية وشرح ابن السكيت ، تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه ، الطبعة الأولى ، مطبعة المدني ، مصر ، ١٩٨٧م .

١٣- ديوان عمرو بن قميئة، تحقيق : حسن كامل الصيرفي ، ط. معهد المخطوطات العربية ، ١٩٦٥م.

١٤- ديوان عنترة : عنترة بن شداد ، تحقيق محمد سعيد مولوي ، ط. المكتب الإسلامي ، ١٩٧٠م .

١٥- السيرة النبوية : ابن هشام - أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري (- ٢١٣هـ) ، تحقيق : مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ، ط. البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٥٥م .

١٦- شرح أشعار الهذليين : السكري - الحسن بن الحسن (- ٢٧٥هـ) تحقيق : عبد الستار فراج ، راجعه محمود محمد شاكر ، ط. المدني ، ١٩٦٥م .

١٧- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، صنعه : الإمام أبي العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني ثعلب ، نسخة مصورة من طبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٤٤ ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٤م .

١٨- الكامل في التاريخ : ابن الأثير - أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد عبدالكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (- ٦٣٠هـ) ط. دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٨٣م .

١٩- لسان العرب ، ابن منظور - أبو الفضل جمال الدين محمد بن المكرم الأنصاري (- ٧١١هـ) ، ط. دار المعارف (د.ت) .

٢٠- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة : ابن سيده - علي بن إسماعيل (- ٤٥٨هـ) تحقيق: مصطفى السقا ، د. حسين نصار ، ط. الأولى مطبعة البابي الحلبي ، مصر .

٢١- المخصص : ابن سيده : أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي (-٤٥٨)، تحقيق: لجنة أحياء التراث ، ط. دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان.

٢٢- المشترك وضعا والمفترق صقعا : ياقوت - شهاب الدين أبو عبد الله الحموي ، مكتبة المثنى ، بغداد .

٢٣- معجم البلدان : ياقوت - شهاب الدين أبو عبد الله الحموي (- ٦٢١هـ) ط. دار صادر ، بيروت .

٢٤- معجم الشعراء : المرزباني - أبو عبيد الله بن محمد بن عمران (- ٣٨٤هـ) تحقيق سالم الكرنكوي ، ط. بيروت ، ١٩٧٣م .

٢٥- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع : البكري - أبو عبيد عبد الله بن عبدالعزيز (-٤٨٧هـ) تحقيق : مصطفى السقا ، ط. عالم الكتب ، بيروت .

صدر عن

مركز الوثائق والدراسات الانسانية

ندوة

قضايا التغير في المجتمع القطري

خلال القرن العشرين

" الدوحة : ١٩ - ٢٢/ ٧ /١٤٠٩هـ

- ٢٥ - ٢٨/ ٢ /١٩٨٩ م "

الجزء الاول

الدوحة ١٤١٢هـ - ١٩٩١م

السعر :

٢٠ ريال قطري للجزء الواحد

جامعة قطر

الدوحة - قطر